سئل الشيخ المقرئ: عدنان بن عبد الرحمن العُرْضي – حفظه الله– عن رسالة انتشرت في بعض وسائل التواصل الاجتماعي حول تعليل بعض ظواهر الرسم العثماني بالمعاني، تقول: {الفرق بين رسم ﴿ ٱلضُّعَفَـٰٓءِ ﴾ ورسم ﴿ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ ﴾ في القرآن الكريم: حيث وردت لفظة (الضعفاء) في القرآن الكريم ٤ مرات، مرتين مرسومتين بألف ثم همزة ﴿ ٱلضُّعَفَـٰٓءِ ﴾، ومرتين بهمزة مرسومة على واو﴿ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ ﴾ ...] وتعليل ذلك بأن ماورد – لاصورة له – أي : مكتوبًا على السطر فهو من الضعف البدني، ومارسم بالواو فهو من الضعف النفسي المعنوي } أ هـ.

فأجاب – حفظه الله– بما خلاصتُه ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد: فمذاهب العلماء في تحليل ظواهر الرسم العثماني أفردها الأستاذ الدكتور غانم قدُّوري الحمَد بمبحثٍ ماتع في كتابه الرائع "رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية "، وذكر فيه تأصيلا لدراسة الرسم، ومذاهب العلماء فيه، وتاريخ تطور الكتابة، وغير ذلك من الأبحاث القيمة المحررة المتعلقة بكتابة المصحف الشريف، وأنصح الجميع بدراسة هذا السِّفْر النفيس.

ويمكن تلخيص مذاهب العلماء في توجيه وتعليل رسم بعض الكلمات القرآنية بما يخالف ما استقرت عليه الكتابة في خمسة اتجاهات:

الاتجاه الأول: أن للرسم حكمةً ذهبت بذهاب كتَبَتِه

وهذا المذهب تبناه الشيخ محمد طاهر الكُردي صاحبُ كتاب "تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه" (ت: ١٤٠٠هـ).

الاتجاه الثاني: حملُ تلك الظواهر على خطأ الكاتب

فقالوا: إن مخالفة رسم المصحف لمشهور ما استقرت عليه الكتابة إنما هو من خطأ الكُتّاب، وهذا مذهب ابن قُتَيبة (ت: ٢٧٦هـ) وابن خلدون (ت: ٨٠٨هـ)، وورد عند الفرَّاء(ت: ٢٠٧هـ) ما يحتمل ذلك.

وقد دافع ابن خلدون عن هذا المذهب بأن الكتابة من الصنائع، ولا تعتبر فضيلة بذاتها، بل هي زائدة، وفقدُها لا يضر. والصحابة –رضوان الله عليهم– لمكانهم من البداوة والتوحش– البُعد عن الحضارة – لم تكن خطوطهم مستحكمة في الإتقان !!!!

وبالغ بعض المعاصرين عن جهل أو سوء نية في تبني هذا التوجُهِ.

وقد بنى هؤلاء مذهبَهم على آثار وردت عن بعض الصحابة إما غير صحيحة ، أو محتمِلة لعدة معانٍ فحملوها على المعنى الأسوأ الذي يؤيد مذهبهم الخاطئ.

وهذا الاتجاه مجانِبٌ للصواب؛ لأن ادِّعاءَ الخطأ في رسم المصحف مبنيٌّ إما على: آثار غير ثابتة، أو مُتأوَّلة، وكلاهما لا تقوم به حُجةٌ، أو أُسِّسَ على مقدمات عقلية غير مُسلَّمٍ بها ، بل لانبالغ إن قلنا:خاطئة.

الاتجاه الثاني: احتمالُ القراءات

فمثلا كلمة: ﴿ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ كُتِبت بالصاد كي تحتمل قراءة الإشمام، ولو كُتِبت بالسين –التي هي أصلها– لفات وجه الإشمام. وهذا الاتجاه نجده عند الجعبري (ت: ٧٣٢هـ) في: "جميلة أرباب المراصد شرح عقيلة أتراب القصائد"، وعند اللبيب (ت: ١٠٥٢هـ) في: " الدُّرة الصَّقِيلة شرح العقيلة"، حيث أكثرا من تعليل ظواهر الرسم باحتمال القراءات، وضربا لذلك أمثلة عديدة تؤيد مذهبهما ؛ لكن يبقى هذا الاتجاه قاصرا حيث إنه لايستوعب كل ظواهر الرسم المصحفي.

الاتجاه الثالث: اختلاف الرسم لاختلاف المعنى

وهو مذهب أبي العباس المراكشي (ت: ٧٢١هـ)، حيث علل اختلاف ظواهر الرسم باختلاف أحوال معاني الكلمات.

وهذا الاتجاه أبعدُ المذاهب عن الصواب؛ لأنه لم ينُقَل عن أحد من الصحابة، أو التابعين، أو تابعيهم، ولا عن أحد من أئمة الرسم الكبار المتقدمين كيحي بن الحارث الذِّماري (ت: ١٤٥هـ)، أو الغازي بن قيس (ت: ١٩٩هـ)، أو الفرَّاءِ (ت: ٢٠٧هـ) ، أو مَن بعدَهم كأبي بكر بن أبي داوود السجستاني (ت: ٣١٦هـ) ، أو الدَّاني (ت: ٤٤٤هـ) أو أبي داوود سليمان بن نجاح (ت: ٤٩٦هـ)، ولاحتى المتاخرين كصاحب مورد الظمآن– الخرَّاز –(ت: ٧١٨هـ) وهوعصريُّ أبي العباس المراكشي، مخترعِ هذا المذهب في أواخر القرن السابع في كتابه: "الدليل إلى مرسوم التنزيل"، وا

وقد أبعد المصنِّفُ – المراكشي – في كتابه المذكور النُّجعةَ، وبناه على تأملات فلسفية باطنية شاذة ، لا تستند إلى صحيحِ نقلٍ ، ولا صريحِ عقلٍ. وللأسف أن بعض المعاصرين تبنى هذا المذهب، بل وأُجيزت رسائل علمية مبنية على هذا المذهب الباطل.

بناءً على ذلك ، فإن ماذُكِر في سؤال السائلة غيرُ صحيح، بل نكاد نجزم أن هذه المعانيَ لم تخطر بخَلَدِ كُتَّاب الوحي رضوان الله عليهم، وإلا لنقل – ولو النزرَ اليسيرَ من ذلك – أئمةُ الرسم المتقدمون.

الاتجاه الخامس: تعليلُ بعض ظواهر الرسم بعللٍ نحوية أو لغوية: فالألف ترسم ياء على مذهب الإمالة، فمثلا ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ نقرؤها بالألف، لكنها ترسم ياء لتحتمل مذهبَ الإمالة بنوعيها، فتكون (محتمِلةً) للقراءات الثلاث: الفتح والتقليل والإمالة. وكذلك ﴿غَيَٰبَتِ﴾، ﴿نِعۡمَتَ﴾ كُتِبت على مُقتضَى الوصل، وقيل: على طريقة كتابيةٍ لبعض القبائل. وهنا نقلٌ نفيسٌ عن الإمام الداني في كتاب "المحكَم" ص ١٨٦ حيث قال: (وعلة هذه الحروف، من الحروف المرسومة على خلاف ما يجري به رسم الكتاب في الهجاء في المصحف، الانتقال من وجه معروف مستفيض إلى وجه آخر مثله في الجواز والاستعمال، وإن كان المنتقَلُ عنه أظهرَ معنىً وأكثرَ استعمالا) ا. هـ.

والمذهب الأخير هو الأقرب للصواب. والله أعلم.

ونبه هنا لبعض الأمور المهمة فيما يتعلق برسم المصحف، وهي:

١-أن قواعد الكتابة الحديثة قُعِّدَت في عصر التدوين، في بداية القرن الثالث تقريبا، أي: بعد كتابة المصاحف بكثير؛ فلا يصح أن نحاكم كتابة الصحابة إليها.

٢- أن الصحابة -رضوان الله عليهم- كتبوا المصحف على الكتابة التي كانت مشهورة عندهم، ولم يكتبوه برسم خاص. وهو الرأي الأرجح في هذه المسألة.

٣- أن الكتابة عُرْفيةٌ اصطلاحية ، ولا يشترط فيها مطابقة اللفظ تماما. فمثلا كلمة (أولئك) فيها حرف مرسوم غير منطوق وهو الواو، وحرف منطوق غير مرسوم، وهو الألف، ولو (كُتبِتْ) بغير هذا لأصبحت شاذة غير مقبولة.

أما لماذا كُتِبت ﴿ دُعَـٰٓؤُاْ ﴾، ﴿ٱلضُّعَفَـٰٓؤُاْ ﴾ ونحوُها بالواو؟

فالجواب: أن بعض القبائل تكتبها هكذا، وبعضها تكتبها بدون واو، فكتبوا الأكثر على ما اشتهر من اللغات أو طرق الكتابة، وكتبوا القليل على ما لم يشتهر منها، وهذا مستفاد من النص الذي سبق نقله – قبل قليل - عن الإمام الداني من كتاب المحكَم.

ونؤكد هاهنا مرة أخرى أن هذه التفسيرات الفلسفية الباطنية التي وردت بالسؤال والتي حشد المراكشيُّ كتابه بالمئات منها ليست صحيحة؛ لأنها لم ترد عن الأئمة المتقدمين، وهي أقرب إلى تأملات ذاتية للمصنف – غفر الله له– لاتستند إلى نقل صريح، أو عقل صحيح .

والله أحكَمُ وأعلم، والتسليمُ إليه أَوْلَى وأَسلَم. وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.